# الافتتاحيّة

# الرسائل الراعويّة : الكتاب والتقليد والكنيسة

رئيس التحرير

## مقدّمـــة

تُدعى رسائلُ بولس الأخيرة "راعويّة"[١] لأنّها أُرسِلَتْ إلى رعاةٍ في الكنيسة معروفيّ الاسم والهويّة، هما بالتحديد تيموتاوس وتيطس[٢]، المعاونان الأقرب إلى الرسول[٣].

تحتلّ الرسائل الثلاث الموجّهة إلى هذَين الراعيَيْن موقعًا خاصًّا ضِمْنَ العهد الجديد. حاليًّا يرى معظم مفسّريها أنّها قد تكون من وَضْع "مدرسة بولس" وليس منه بالذات، وتعكس خَطَّه الرسوليّ كما أدبه الرسائليّ الخاصّ به. لكن في ٢ تم هناك بعض الكلام الذي يبدو أصيلاً إلى حدّ أنّه يجعل القارئَ يشعر بأنّ بولس شخصيًّا هو الذي يتكلّم. في كلّ حال، تبقى الكلمة الفصل في هذا المجال لذويّ الاختصاص، في مرحلة أولى، وللسلطات الكنسيّة، في مرحلة ثانية.

## ١ – بولس يختار معاونين له

اعتمد بولس في عمله الرسوليّ على معاونين مميَّزين يعضدونه في حملِ البشرى، وتنظيم الكنائس، والسهر على جماعاتها، كما في حلّ العديد من المعضلات والأزمات الطارئة. لم يكن يعمل منفردًا، بل كان يلجأ إلى أشخاص يثق بهم، ويعرف مدى تعلّقهم بالإنجيل، فلا يتردّد في محضهم ثقته، خاصّة عندما كانت هموم الرسالة والمؤمنين تقضّ مضجعه، أو عندما كانت المضايقات والصعاب الآتية من كلّ صوب تُثقل كاهله. هكذا اختار تيموتاوس وتيطس الخادمَين الأمينَين للمسيح، اللذَين قَبِلاَ أن يتحمّلاَ المسؤوليّات التي أوكلها إليهما بطيبة خاطر، فأضحيَا معلِّمَين في حَمْلِ البشرى السارّة، وقدوتَين في خدمة الإخوة والأخوات.

– **تيموتاوس**: كان بولس يرى فيه صورةً عنه بالذات، لذا وَكَلَ إليه مهمّات هامّة في مكدونية (أع ١٩: ٢٢)، وتسالونيكي (رج ١ تس ٣: ٦–٧)، وكورنتس (١ كو ٤: ١٧؛ ١٦: ١٠–١١)؛ كذلك كتب فيه مديحًا رائعًا إلى حَدّ القول: "فليسَ لي آخَرُ نظير نفسي يُعنى بأحوالكم عنايةً صادقةً" (فل ٢: ٢٠). استنادًا إلى **التاريخ الكنسيّ** (٣: ٤) لأوسابيوس القيصريّ (القرن الرابع)، كان تيموتاوس أوّلَ أسقف على كنيسة أفسس.

– **تيطس**: كان هو أيضًا غاليًا على قلب بولس الذي

(١) أنظر نعمةالله الخوري، "مدخل الى الرسائل الرعائيّة"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٧–١٤؛ أيوب شهوان، "الرسائل الرعويّة: رسول الربّ تلميذ أمين وراع صالح"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٢–٥.

(٢) أيوب شهوان، المرجع السابق: "تيموتاوس" و"تيطس"، ص ٣–٤.

(٣) BENOIT XVI, "Les deux collaborateurs de saint Paul, Timothée et Tite" (Audience générale, Rome, 13 décembre 2006).

يصفه بكلّ وضوح بأنّه "مملوءٌ غيرةً...، رفيقي ومعاوني" (٢ كو ٨: ١٧، ٢٣)، لا بل "ابني الحقيقيّ في الإيمان المشترَك" (تي ١: ٤). كُلِّفَ بمهمّتَين دقيقتَين جدًّا في كنيسة كورنتس، أثلَجَتْ نتيجتُهما قلبَ بولس (رج ٢ كو ٧: ٦-٧، ١٣؛ ٨: ٦). لاحقًا، لاقى تيطسُ بولسَ في نيكابُولي، في إبّيرو، في اليونان (رج تي ٣: ١٢)، من حيث أرسله إلى دلماطية (رج ٢ تم ٤: ١٠). واستنادًا إلى الرسالة الموَجَّهة إليه، يُستَنتَج أنّه صار أسقفَ كنيسة كريت (رج تي ١: ٥).

## ٢ - الرسائل الرعويّة والوضع الكنسيّ

من دون شك، إنّ الوضع الكنسيّ الذي يتبدّى لنا من هذه الرسائل الرعويّة[٤] هو مختلف عن الوضع الذي كان عليه في السنوات السابقة من حياة بولس؛ فهو، الآن، يصف نفسه بأنّه "مناد، ورسولُ الأمم ومعلّمها في الإيمان والحقّ" (١ تم ٢: ٧)، وهذا ما يكرّره بشكل حرفيّ في ٢ تم ١: ١١؛ هو يقدّم ذاتَه على أنّه تلقّى رحمةً، "لأنّ يسوع المسيح جاء إلى العالَم ليخلّص خطأةً أوّلُهم أنا"؛ ويضيف: "لكنّي لهذا رُحِمْتُ، لكي يُظهِرَ المسيحُ يسوعُ كلَّ أناتِه فيّ أنا أوّلاً، مثالاً للذين سيؤمنون به لحياة أبديّة" (١ تم ١: ١٦). بالتالي إنّه لأمرٌ جوهريّ أنّه، في بولس المضطَّهِد، الذي اهتدى على أثر ظهورٍ يسوع له على طريق دمشق، تتجلّى رحمةُ الربّ القادرة أن تصنع العظائم.

وبالإضافة إلى السنوات المركزيّة من حياة بولس كرسول ليسوع المسيح، لدينا أيضًا الأُطُر الجديدة الثقافيّة الناشئة؛ في الواقع، هناك تلميح إلى قيام **تعاليم ضالّة** وكاذبة كلّيًّا: "لكنّ الروحَ يقول فيوضِحُ أنّ قومًا في الأوقات الأخيرة سيجحدون الإيمان، ويُصغون إلى أرواح مُضِلّة وإلى تعاليم شياطين، ويُؤخَذون برياء أناسٍ كذّابين، مَكويّين في ضميرهم" (١ تم ٤: ١-٢)؛ وهناك كلام مماثل في ٢ تم ٣: ١-٥ يُبَيّن أخطار الأيّام الأخيرة التي ستكون فيها أوقاتٌ عسيرة، فيكون الناس في ذروة شرّهم، كذلك كانوا يدّعون أنّ الزواج ليس جيّدًا (رج ١ تم ٤: ٣أ).

إنّ هذا الهمّ هو هو في أيّامنا أيضًا، لأنّه، حيث تُقرأ الكتب المقدّسة وكأنّها كتابٌ تاريخيٌّ فُضولِيّ، وليس باعتبارها كلمة الروح القدس، التي نستطيع أن نسمع منها ومن خلالها صوتَ الربّ بالذات، ونعرف حضورَه في التاريخ. بإمكاننا أن نقول بأنّه، مع الجدول الموجز بالضلالات الواردة في الرسائل الثلاث، تظهر بعض ملامح ذاك التَوَجُّه المغلوط الذي يلي، والذي هو الغنوصيّة (رج ١ تم ٢: ٥-٦؛ ٢ تم ٣: ٦-٨).

## ٣ - قراءة الكتاب المقدّس والوديعة

في وجه العقائد الكاذبة هذه يقف بولس موقف المعلّم الحكيم، والوكيل المؤتمن على وديعة الإيمان، مذكّرًا بأمرين جوهريّين، هما التاليان:

- **الأوّل** يقوم على التوجيه نحو **قراءة روحيّة للكتاب المقدّس** (رج ٢ تم ٣: ١٤-١٧)، أي إلى قراءة تعتبر الكتاب المذكور "مُلْهَمًا" حقًّا، وأنّ مصدره هو الروح القدس، لأنّ "الكتاب المقدّس قادر أن يصيّر المؤمن حكيمًا للخلاص" (٢ تم ٣: ١٥). لذا، على قارىء الكتاب المقدّس أن يضع أو يُدخل ذاته في حوار مع الروح القدس بطريقة تمكّنه من أن يتلقّى منه نورًا "لكي يعلّم، ويُقنعَ، ويُقوِّمَ، ويؤدِّبَ في البِرّ" (٢ تم ٣: ١٦). بهذا المعنى تُضيف الرسالة الثانية إلى تيموتاوس ما يلي: "حتّى يكون رَجُلُ الله كاملاً ومُعَدًّا لكلّ عمل صالح" (٢ تم ٣: ١٧).

- أمّا **الثاني** فيقوم على "وديعة" (παραθήκη) الإيمان عقيدةً ومسلكًا. لم تَرِدْ هذه الكلمة في العهد الجديد إلاّ ثلاث مرّات، وبالتحديد في الرسائل الرعويّة (١ تم ٦: ٢٠؛ ٢ تم ١: ١٢، ١٤). يُشار بها إلى تقليد الإيمان الرسوليّ الذي

(٤) حول بولس، والرسائل الرعويّة، والكنيسة الأولى، يمكن العودة إلى المؤلّف التالي:
James W. AAGESON, *Paul, the Pastoral Epistles and the Early Church*, LPS, Peabody, Hendrickson, 2008.

ينبغي الحفاظ عليه بمعونة الروح القدس الساكن فينا؛ هذه "الوديعة" هي بالتالي بمثابة ذروة التقليد الرسوليّ، ومعيار الأمانة البشرى. إنّها بشرى الإنجيل التي أُودِعَناها الرسل عامّة وبولس خاصّة، والتي على تيموتاوس وكلّ مَن يتولّى المسؤوليّة الكنسيّة أن يحفظها بأمانة، لأنّها هي التعليم السليم والصحيح الذي ينبغي أن يتوارثه أولاد الكنيسة بكلّ اعتناء.

## ٤ – "الكتاب والتقليد"

وينبغي هنا أن نتذكّر أنّه، في الرسائل الرعويّة، كما في مجمل العهد الجديد، تعني كلمةُ **"كتاب"** بوضوح العهدَ القديم، لأنّ كُتُبَ العهد الجديد إمّا أنّها لم تكن بعد موجودة، وإمّا أنّها لم تكن بعد قد صارت جزءًا من قانون الكتاب المقدّس. هكذا يضحي تقليد التبشير الرسوليّ، أي "الوديعة" الآنفة الذكر، مفتاحَ قراءة الكتاب المقدّس وفهمه، وبالتحديد العهد الجديد. بهذا المعنى، يشكّل **الكتابُ، والتقليدُ، والتبشيرُ الرسوليُّ** "الأساسَ الصلبَ الذي أرساه اللهُ" (٢ تم ٢: ١٩) للولوج إلى كنْه الكتاب ولفَهْم مكنوناته الوفيرة، وتلقّي صوت المسيح المحيي. إنّ التقليد يحمل الكتاب، والكتابُ يُسند التقليد. لا تقليد من دون عودة إلى الكتاب، ولا قيمة للكتاب إن لم نجعله في مناخه الذي هو التقليد الحيّ في الكنيسة.

## ٥ – الوحي ومحبّة الله للبشر

يقول بولس بأنّه ينبغي أن يكون رجلُ الله "ملازمًا للكلمة الصادقة وَفْقَ التعليم، حتّى يكون ذا قدرة على الوعظ في التعليم السليم، وعلى توبيخ المعارضين" (تي ١: ٩). على أساس كلّ ذلك، هناك بالتحديد الإيمان بالوحي التاريخيّ الذي به أظهر الله بيسوع المسيح "محبّته للبشر"، كما نقرأ في تي ٣: ٤: "فلمّا ظهر لطف الله مخلّصنا ومحبّته للبشر (φιλανθρωπία)..."؛ رج ٢ تم ١: ٩–١٠).

يعلّم بولس في رسائله أنّ سرّ المسيح الذي كان مخفيًّا منذ الأزل قد انجلى بالتجسّد، ووصل الآن إلى الأمم فعرفوه (رو ١٦: ٢٥؛ أف ٣: ٥؛ كو ١: ٢٦). كلّ ما سبق مجيء المسيح يستضيء بوحيه، أي العهد القديم (٢ كور ٣: ١٤)، وأسرار القلوب (١ كور ١٤: ٢٥)، وبرّ الله (رو ١: ١٧)، والدافع إلى إعطاء الشريعة (غل ٣: ٢٣)، الخ؛ فالله يكشف عن مخطّطه في أن يجمع كلّ شيء في المسيح (أف ١: ١٠). لقد أُخِذَ بولس بعظمة يسوع الذي اتّضع حتّى الصليب لكي يخلّص البشريّة (أف ٢: ١٦؛ فل ٢: ٥–٨؛ رو ٥: ٦–٨)، فكشف عَبْرَ هذا الاتّضاع عن كلّ عظمته (فل ٢: ٩). لقد عمل الرسول على كشف سرّ ابن الله (غل ١: ١٦) بالكرازة (رو ١٦: ٢٦؛ ٢ كور ٢: ١٤؛ رج تي ١: ٣)، والمثل (١ كور ١١: ١). في الحقيقة، هو الله مَن يكشف عن نفسه كالآتي، هو سيّد التاريخ وهو يوجّهه من أجل أهدافه التي تعود بالخير على الناس أجمعين.

## ٦ – الإيمان والحقّ

يُعَبَّر عن التواصل المسيحيّ بتعابير جليّة، وَفْقَ هويّة تبتعد عن تفاسير غير ملائمة، من جهة، وتؤكّد التجذّر في نقاط الإيمان الأساسيّة، من جهة ثانية، هذا الإيمان الذي هو معادل لكلمة "حَقّ"، حسبما نقرأ في تعليم القدّيس بولس في رسالته الأولى إلى تيموتاوس حيث يقول: "فإنّه يريد أن يخلص جميع الناس، ويبلغوا إلى معرفة الحقّ" (١ تم ٢: ٤)؛ "وأُقمت أنا لها داعيًا ورسولاً – أقول الحقّ ولا أكذب – معلّمًا للوثنيّين في **الإيمان والحقّ**" (آ ٧)؛ "... الذين آمنوا فعرفوا الحقّ" (٤: ٣)؛ "والمناقشات بين قوم فسدت عقولهم، فحُرِموا الحقّ، وحسبوا التقوى وسيلة للكسب"(٦: ٥)؛ أنظر أيضًا: ٢ تم ٢: ١٥، ١٨، ٢٥؛ ٣: ٧، ٨؛ ٤: ٤؛ تي ١: ١، ١٤.

إنّ ما كان مدعاة للفخر عند شعب الله، هو أنّه تسلّم من إلهه قانونًا عادلاً (تث ٤: ٦– ٨) يضمن الحقّ والعدل للناس. هذا ما شدّد عليه الأنبياء (عا ٥: ٧، ٢٤؛ ٦: ١٢؛ إش ٥: ٧، ١٦؛ إر ٤: ٢؛ ٩: ٢٣؛ الخ)، والحكماء (أم ٢: ٩)، وتلك كانت إحدى الميزات الأساسيّة للرجاء المسيحانيّ (إش ١: ٢٧؛ ١١: ٥؛ ٢٨:

١٧)، علمًا أنّ الله بالذات هو مَن يحقّق هذا المطلب المثاليّ (مز ١٩: ١٠؛ ٨٩: ١٥؛ ١١٩: ٧). لذلك سيولي يسوع "العدل، والرحمة، والأمانة" (مت ٢٣: ٢٣؛ رج مي ٦: ٨) اهتمامَه الخاصّ، وكذا سيفعل بولس الرسول، كما في الرسائل الرعويّة.

## ٧ – الكنيسة والشموليّة

في الإيمان تظهر الحقيقة الجوهريّة المتعلّقة بنا: لِمَن نحن؟ ومَن هو الله؟ وكيف ينبغي أن نعيش؟ وانطلاقًا من هذه الحقيقة، حقيقة الإيمان، تُحدَّد **الكنيسة** بأنّها "**عمود الحقّ وركنُه**" (١ تم ٣: ١٥). إنّها جماعة منفتحة، ذات نَفَس شموليّ، تصلّي من أجل كلّ البشر من أيّ طبقة ومن أيّ درجة كانوا، حتّى يبلغوا إلى معرفة الحقّ: "**الله يريد أن يخلص جميع الناس، ويُقبلوا إلى معرفة الحقّ**؛ فواحد هو الله، وواحد هو الوسيط بين الله والناس، هو الإنسان المسيح يسوع الذي وهب نفسه فديةً عن الجميع" (١ تم ٢: ٤–٦). إذًا، الشعور الشموليّ، حتّى ولو كانت الجماعات ما زالت صغيرة، هو كبير وحاسم بالنسبة إلى هذه الرسائل. ومن الواضح أنّ الجماعة المسيحيّة "لا تتكلّم بالسوء على أحد"، لا بل "تُبدي كلّ لُطْف تجاه كلّ الناس" (تي ٣: ٢)، الأمر الذي يُعتَبَر **المُكوِّنَ الأوّلَ** والهامَّ في الرسائل الرعويّة؛ لذلك يشكّل **الإيمان والشموليّة** حقيقةً جوهريّة، ومفتاحَ قراءة للكتاب المقدّس، وبالتحديد للعهد القديم، فترتسم هكذا وحدةُ التبشير والكتاب، والإيمان الحيّ المنفتح على الجميع، والشاهد على محبّة الله للجميع.

## ٨ – هيكليّة الخدمة في الكنيسة

وهناك **مكوّنٌ آخر** في هذه الرسائل، ألا وهو التفكير حول **هيكليّة الخدمة في الكنيسة**[٥]؛ فالرسائل الرعويّة تتكلّم، وللمرّة الأولى، على توزيع مراتب الخِدَم الثلاثة الموكَلَة إلى **الأساقفة، والشيوخ، والشمامسة** (رج ١ تم ٣: ١–١٣؛ ٤: ١٣؛ ٢ تم ١: ٦؛ تي ١: ٥–٩). بإمكاننا أن نلاحظ في هذه الرسائل التقاءَ بُنْيَتَين مختلفتَيْن للخِدَم، وهكذا تَكَوُّن الشكل النهائيّ للخدمة في الكنيسة. في الرسائل التي حرّرها بولس في السنوات السابقة لزمن تحرير الرسائل الرعويّة، كان يتكلّم على "أساقفة" (فل ١: ١)، وعلى "شمامسة": تلك هي البُنْيَة النموذجيّة للكنيسة التي تكوّنت في زمن العالَم الوثنيّ. مع هذا، يبقى وجهُ الرسول ذاته مهيمنًا، ولذا تطوّرت الخِدَمُ الأخرى شيئًا فشيئًا. كان إذًا لدى الكنائس التي تكوّنت في العالم الوثنيّ **أساقفة وشمامسة**، وليس شيوخًا؛ أمّا في الكنائس التي تكوّنت في العالم اليهوديّ–المسيحيّ **فالشيوخ هم** البُنية المُهَيْمِنة.

في الرسائل الرعويّة، تتوحّد البُنيتان، فيظهر "**الأسقف**" (ἐπίσκοπος؛ رج ١ تم ٣: ٢؛ تي ١: ٧)، ودائمًا بصيغة المفرد، مرفقًا بأل التعريف. وإلى جانب "الأسقف" نجد **الشيوخ والشمامسة**. ما زال وجهُ الرسول حاسمًا، ولكنّ الرسائل الثلاث (١ تم، ٢ تم، تي) هي مُوَجَّهَة ليس إلى جماعات بل إلى أفراد، وبالتحديد إلى تيموتاوس وتيطس الأسقفَين، اللذَين كانا قد بدءا في ذاك الوقت بأن يحلاّ مكان الرسول. يُلاحَظ هكذا بدايةُ الواقعُ الذي سيُدعَى لاحقًا "**الخلافة الرسوليّة**".

يقول بولس لتيموتاوس بنبرة فيها الكثير من المهابة: "لا تُهمِل الموهبة التي فيك، وقد وُهِبَت لك بنبوءة مع وضْع أيدي الشيوخ" (١ تم ٤: ١٤). بإمكاننا القول بأنّه، في هذه الكلمات، يظهر في الأصل أيضًا **طابعُ الخدمة الأسراريّ**. لدينا هكذا **جوهر بُنية الخدمة الكنسيّة: الكتاب المقدّس والتقليد، والتبشير**، وهذه العناصر تشكّل وحدةً جوهريّة، ولكن، إلى هذه **البُنية العقائديّة**، إذا جاز التعبير، ينبغي إضافة **البُنية الشخصيّة**، أي خلفاء الرسل، باعتارهم شهودًا على التبشير الرسوليّ.

(٥) بولس الفغالي، "الرسائل الرعائيّة وتنظيم الكنائس"، **بولس ورسائله**، سلسلة دراسات بيبليّة ٢٣، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠٠١، ص ٤٣١–٤٣٢.

## ٩ – الكنيسة بيت وعائلة

من المهمّ أخيرًا أن نشير إلى أنّ **الكنيسة**، في الرسائل الرعويّة، يُعبَّر عنها بمفردات بشريّة، وبالتحديد بتماثُل مع **البيت والعائلة**؛ هكذا، وانطلاقًا من هاتَين الاستعارتَين، نجد، بشكل خاصّ في ١ تم ٣: ٢–٧، **تعليمات حول الأسقف** مفصّلة جدًّا، هي التالية:

"إذًا فيلزم الأسقف ألاّ يكون عليه مأخذ: أن يكون قد **تزوّج** مرّة واحدة، صاحيًا، رزينًا، أنيقًا، مضيافًا، قادرًا على أن يُعلِّم، لا سكّيرًا، ولا عنيفًا، بل حليمًا، غيرَ مماحك، وغير مُحبّ للمال، يحسن تدبير بيته، وله **أولاد** خاضعون بكلّ شرف، لأنّ مَن لا يعرف أن يدبّر **بيته**، فكيف يُعْنَى بكنيسة الله؟...".

ينبغي هنا أن نشير بشكل خاصّ إلى **الكفاءة في التعليم** (رج ١ تم ٥: ١٧)، التي نجد لها صدى أيضًا في مقاطع أخرى (مثلاً: ١ تم ٦: ٢ج؛ ٢ تم ٣: ١٠؛ تي ٢: ١)، ثمّ ميزة خاصّة شخصيّة، ألا وهي ميزة "**الأُبوّة**"؛ في الواقع، يُعْتَبَر **الأسقف أبًا الجماعة المسيحيّة** (رج ١ تم ٣: ١٥). ثمّ إنّ الفكرة القائلة بأنّ **الكنيسة "بيت الله"** هي متأصِّلة في العهد القديم، تغرز جذورها فيه (رج عد ١٢: ٧). ونجد إعادة صياغة لها في عب ٣: ٢–٦، في حين أنّه، في مواقع أخرى، نقرأ أنّ جميع المسيحيّين "لم يعودوا غرباء ولا نُزلاء، بل أهل مدينة القدّيسين، وأهل **بيتِ الله**" (أف ٢: ١٩).

## خاتمة

تلك كانت جولة أفق سريعة حول أبرز موضوعات الرسائل الراعويّة، سلّطت الضوء على بعض المعطيات، دون أن تكون شموليّة، ممّا يعني أنّ معرفة الغنى اللاهوتيّ المخزون فيها يتطلّب التفصيل والغوص والاستخراج بكثير من العناية والدراية وحسن القراءة.

## المراجع


الخوري نعمةالله، "مدخل الى الرسائل الرعائيّة"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٧–١٤.

شهوان أيوب، "الرسائل الرعويّة: رسول الربّ تلميذ أمين وراع صالح"، **مجلّة بيبليا** ٣٨ (٢٠٠٨) ٢–٥.

الفغالي بولس ، "الرسائل الرعائيّة وتنظيم الكنائس"، بولس ورسائله، سلسلة دراسات بيبليّة ٢٣، الرابطة الكتابيّة، بيروت ٢٠٠١، ص ٤٣١–٤٣٢.

AAGESON James W., *Paul, the Pastoral Epistles and the Early Church*, LPS, Peabody, Hendrickson, 2008.